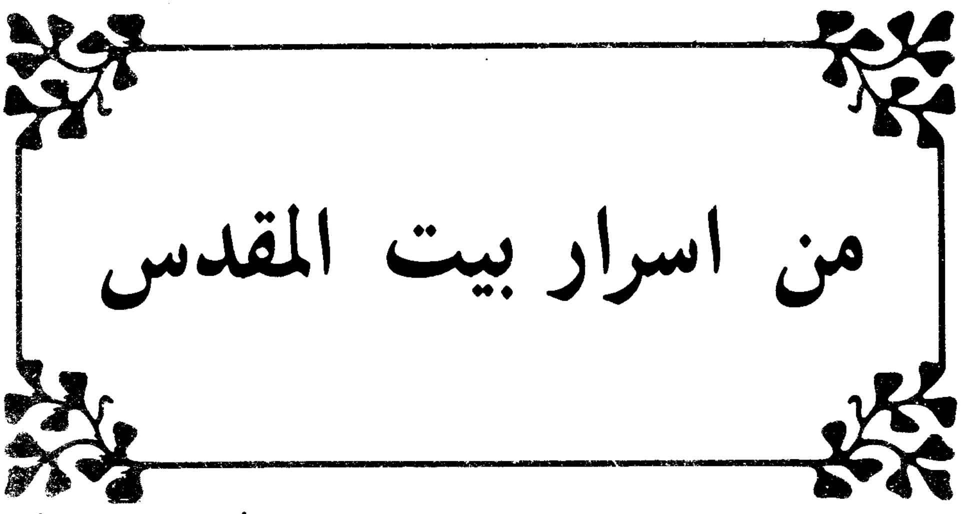




من اسرار بيت المقدس

اعداد محمد غالب الطيب ـ مدير مركز تأهيل الوعاظ والأئمة

القـدس و يقال لها بيت المقدس او البيت المقدس، ومن معانيها التقديس والتطهير والتبر يك.

و يقـال لهـا ارض مـقدسة اي مباركة و بيت المقدس شامل لهذه المعاني كلها فهو طاهر ومطهر للناس من الذنوب ومبارك فيه وحوله.

فـالاسـهـام فـي ابراز اسلامية وعروبة القدس وتأكيد عروبتها والاسهام في تعميق الشعور الاسلامي بحق المسلمين الراسخ في القدس والارض المباركة والاسهام في تحريك قضية القدس وابقائها حية في التصور الاسلامي وفي ضمير المسلمين وتوعية العرب والمسلمين على مطامع الاعداء في مدينة القدس والارض المباركة.

لقد امتدت قدسية المدينة منذ ان اسسها اليبوسيون الكنعانيون حتى يومنا هذا، كما انه لم تلعب مدينة من المدن القديمة على وجه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس وكانت قدسيتها هذه في اكثر الاوقات سببا في شقائها وفيما اصابها من محن.

ولقد اعتنى فيها المسلمون منذ ان أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اليها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا" وعن انس بن مالك انه قال : «ان الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس» وان الحروب الدينية التي خاضها المسلمون الى يومنا هذا دليل على اهتمام المسلمين بهذه المدينة يضاف الى ذلك اهتمام الخلفاء بالمدينة المقدسة وبمسجدها امثال عثمان بن عفان الذي اوقف عينا في سلوان على ضعفاء البلد وعبد الملك

الذي قدم دليلا على عنايته بالقدس حين بدأ عمله ببناء المسجدين الاقصى ومسجد الصخرة.

كما اهتم العباسيون بها فالمنصور زارها مرتين واعاد بناء الاقصى بعد ان تهدم اثر الزلازل والمهدي والمأمون وغيرهم وقد توافد الرحالة والزائرون والعابدون الى رحابها وتبارى المؤرخون في شرح احوالها وسجلوا الاحداث التي جرت على ارضها وتحدثوا عن الدماء التي اريقت على ترابها، صانها الولاة والخلفاء والملوك واحترموا معابدها وحافظوا على آثارها وقد قال صاحب كتاب العرب واليهود في التاريخ مامن مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية دائمة منذ اسسها اليبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام حتى يومنا هذا مثل مدينة بيت المقدس.

انها الارض المباركة (دار السلام) وقد خصها الله بالعديد من الانبياء وقد ربط الله عز وجل مكة وبيت المقدس في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الاسراء، ومع ذلك لم يبق موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي او قام فيه ملك وقد اهتم معاوية بن ابي سفيان رضي الله بأن تكون بيعته ببيت المقدس.

وآية الاسراء في قوله تعالى «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» فكلمة «حوله» في الآية وبالرجوع للاحاديث تجعلنا نؤكد انها تعني ديار الشام فهي تستدعي الانتباه والتأمل فعن ابي امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: انزلت علي النبوة في ثلاثة امكنة بمكة والمدينة وبالشام، وهذا تصريح بأن الوحي نزل على النبي في هذه الامكنة الثلاثة: مكة والمدينه والشام، ونلاحظ انه ذكر الشام واراد به بيت المقدس لان الوحي نزل عليه في بيت المقدس وليس في كل الشام من باب اطلاق الكل وارادة الجزء. قال تعالى: «ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين».

قال مقاتل بن سليمان هي بيت المقدس وكذلك هو المعني في قوله تعالى: «في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه».

وفي الخبر «من صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء».

لقد القى الاسلام رداء الجلال والقداسة على المسجد الاقصى منذ اللحظة التي نزل فيها قول الله تعالى: «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى

المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» سورة الاسراء.

وهذه الآية الكريمة هي التي كشفت النقاب عن مكانة هذا المسجد ودلت على انه مبارك بتبريك الله له.

فهو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد عبد الله ورسوله، كما سجلت الآية ان بيت المقدس هو مسجد ولهذا تكون العقيدة الاسلامية قد فرضت على المسلمين ان يؤمنوا بمسجديته وطهارته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا».

ففي القدس دلائل النبوة وفي القدس اسرار ايمانية ومعان روحانية لايغفل عنها المؤمنون ولايعرض عنها المتقون فحادث الاسراء ايحاء رباني وارتباط ايماني بضرورة تحرير مكة منطلق الدعوة ومبدأ الاسراء وربطها بالقدس منطلق العروج الى السموات العلى بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين ان يتجه اليهاجيش المسلمين الاولى في غزوة موّتة حينما استشهد جعفر ابن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضي الله عنهم. والثانية فقد اتجه النبى صلى الله عليه وسلم بشخصه الى تبوك ولم يتيسر له الاستمرار في مسيرته وتحقيق ماكان يصبوا اليه وعلم ان فتح القدس قد تأجل.

فقد اخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: ــ

١ ــ موتي.
٢ ــ ثم فتح بيت المقدس.
٣ ــ ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم.
٤ ــ ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا.
٥ ــ ثم فتنة لايبقى بيت من العرب الادخلته.
٦ ــ ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثماني غايات تحت كل غاية اثنا عشر الفا.

وقد تم فتح القدس في زمن عمر رضي الله عنه فقد اوعز عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة عامر بن الجراح ان يزحف على القدس فلبى ابو عبيدة امر الخليفة واستدعى سبعة من مقاديم الجيش فعقد لكل منهم راية ضاما اليه خمسة آلاف فارس وراجل وامرهم بالمسير الى بيت المقدس على سبع دفعات كل يوم دفعة فكان مجموع افرادها خمسة وثلاثون الفا.

وقد دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس يوم الاثنين واقام بها حتى يوم الجمعة وصلى عمر في الحرم في مكان قريب من الصخرة وطلب من بلال ان يؤذن وكانت ثاني مرة يؤذن فيها بلال بعد معركة اليرموك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبدو ان اذان بلال كان امرا مرتبا اظهارا لمكانة المناسبة وتعبيرا عن حرمة المسجد الاقصى الواردة في القرآن الكريم، فحل الاسلام محل الفوضى والامن محل الارهاب والنظام محل الانانية وجاء التشريع الالهي ليضع حدا لكل فوضى كانت موجودة في القدس وعاشت القدس مسلمة عربية تصان فيها الاماكن المقدسة في ظل الاسلام الذي اهداه المسلمون الى الدنيا أنموذجا لاحترام دور العبادة وكفالة امن العابدين متنقلة من عصر الى عصر حتى جاءت الحروب الصليبية.

وجاء دور صلاح الدين رحمه الله رحمة واسعة فقد دخلها محررا اياها من الصليبيين فقد دخلها في اليوم الذي دخلها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم اسرى به الى بيت المقدس في السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣ للهجرة، وقد قيل لصلاح الدين من احد المنجمين انك تخسر احدى عينيك اذا فتحت القدس فاجابه « اني لأوثر ان افقد بصري كله اذا كان من وراء ذلك فتح بيت المقدس.

وفي هذا دلالة على عمق ايمان القيادة بقدسية القدس وان المسلمين هم اهلها. وان المستولي الدخيل ان هو الا سحابة صيف ماتلبث ان تنقشع او تزول.

وفي هذه الايام العطرة من تاريخ السلسلة الذهبية لابناء هاشم رسالة لم يحملها ساعي البريد من الحسين الهاشمي مفعمة بالروح الهاشمية الاصيلة ومعبرة اصدق تعبير عن شمائل الصورة التاريخية المتوارثة لآل البيت الذين نذروا انفسهم واموالهم لكل مافيه خير هذه الامة وجاهدوا و بذلوا وضحوا بكل ماأوتوا (دفاعا عن الارض والشعب والمقدسات فان التبرع السخي والذي قدمه جلالة الحسين للجنة اعمار المسجد الاقصى

وقبة الصخرة يمثل حلقة في سلسلة من العطاء الذي لم ينقطع للاسرة الهاشمية وتأكيدا عمليا ملموسا للمسؤولية التاريخية التي يحملها آل البيت بكل سماحة وحرص وتواضع نحو المعتقد الذي لايزيغ صاحبه.

لقد حافظ الملك الحسين باستمرارية المواقف العظيمة بهذه الخطوة الاردنية الهاشمية المشرفة انها خطوة تأتي في وقت تتعرض فيه المدينة المقدسة الى اخطار التهويد وسط تخل يكاد يكون كاملا من جانب العرب والمسلمين عن مسؤولياتهم الدينية والقومية نحو هذه المدينة التي تحتل موقعا عزيزا في وجدان الامة.

ولعل انبل ماينطوى عليه هذا الموقف الاردني المعبر عن اعمق مافي ضمير هذه الاسرة الكبيرة انه منزه عن كل غرض سياسي ومترفع عن كل مصلحة آنية وانانية.
ان آل البيت الكرام بذلوا ويبذلون كل جهد في الحفاظ على الاماكن المقدسة في القدس الشريف وغيرها.
وقد خضعت الصخرة المشرفة ذات يوم لاصلاح وتعمير وتبرع المغفور له الشريف الحسين بن علي اسكنه الله فسيح جناته باكثر من خمسة وعشرين الف جنيه ذهب لهذه الغاية انه طبع بني هاشم وكرم الاصول والجذور وسجية من سجاياهم التي لازمتهم منذ وجودهم على هذه الارض.
ان الله اختار العرب من بين الامم واختار قريش من بين العرب واختار بني هاشم من قريش واختار النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم فشجرة اصلها ثابت وفرعها في السماء.

وفي الحديث : «السخي قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل» الترمذي.
فهي ارض مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه وقبلة المسلمين قرابة عام ونصف فهو المسجد التي تشد اليه الرحال في الاسلام.
والصلاة فيه تضاعف بكرم الله واقرب بقعة في الارض الى السماء ارض المنشر والمحشر واول الاماكن التي انحسر عنها الطوفان واليه تزف الكعبة بجميع حجاجها فيقال لها مرحبا : مرحبا بالزائر والمزور وفيه ينفخ في الصور يوم القيامة وعلى صخرته

ينـادى المنادى يوم القيامة ومعقل المؤمنين ايام الدجال يحاصرهم فيه حتى يأكلوا اوتار قسيهم من الجوع ثم يأتيهم الفرج.

وما يزيد في اهمية القدس ومكانتها في العالم الاسلامي انها ضمت في عدة نواح منها رفات عدد من اصحـاب رسول الله والمجاهدين والشهداء الابرار والائمة الاخيار كـالصحابي الجليل عكاشة بن محصن وقاضي القضاة عماد الدين القرشي والشريف الحسين بن علي جد الاسرة الهاشمية.

قال صلى الله عليه وسلم: «طوبى لاهل الشام» فقلت «اى زيد بن ثابت» لم ذاك يارسول الله؟ قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليه وهذا كناية عن ان بلاد الشام تتفيأ ظلال الملائكة فطوبي لمن مات فيها وطوبى لمن قام فيها وطوبى لمن جاهد فيها.

